

في مجلات الشرق

فن الكذب

في العدد الثالث من مجلة « المعرفة » التي تصدر في دمشق ، مقال بهذا العنوان للأستاذ عزت النص ، يريد فيه أن يبرهن لقرائه على أن « أعذب التاريخ أ كذبه ! » فإذا كان الشعر — أو الأدب — هو فن الكذب السافر فان التاريخ — فيما يراه — هو فن الكذب المستتر !

وفي سبيل دعم هذا الرأي ، ثم في سبيل الارتفاع بمرتبة الكذب بين الفنون — ينقل الكاتب كلاماً للأديب الأمريكي مارك توين في الدفاع عن « فن الكذب » يسوقه مساق الفكاهة وإن لم يخل من مغزى جدي صارم .

فاذا فرغ من سياق هذا الحديث أخذ في حديث آخر عن كذب التاريخ ، وراح يناقش بعض أكاذيبه المروية ، ويعرض للأسس التي يعتمد عليها المؤرخون لما يروون من أخبار التاريخ ، فينقضها أساساً بعد أساس ؛ فهل هناك إلا شهادات الشهود وقصص الرواة

وحكايات الاخباريين ؛ « فهل هؤلاء كلهم موضع ثقة ؟ . . . » ثم هنالك الخلفات المادية ، الصامتة والناطق ، من أوابد وأنصاب وتماثيل ورسائل . « أكل حجر منقوش وإن صح نسبه واتصل سببه ، ثبت صدقه ووجب تصديقه ؟ . . . »

« وما العمل إذا انعدمت الوثائق أو صمتت ؟ . . . هنالك في سلسلة الحوادث التاريخية حلقات مفقودة يعتمد المؤرخون إلى إيجادها بالاجتهاد العقلي ؛ فما هو نصيب هذا الاجتهاد الفرضي ؟ »

ويمضي الكاتب في نقض تلك الأسس على طريقتها حتى ينتهي إلى ما يريد ليلفت الأنظار إلى « نسبية الحقائق التاريخية » ، ثم إلى ما تجمع كتب الأخبار والتواريخ من تناقض ومعارضة يؤكدان أن كتب التاريخ ، إن لم تكن كذباً خالصاً ، فلنأعلى أى أحوالها ليست صدقاً خالصاً !

بريطانيا في الشرق

واستقلت سوريا ولبنان عن فرنسا
وانجلترا جميعاً، وعاد البلدان لأهلها
حرين مستقلين .

ثم كيف أفلت العراق - فيما يرى -
من القبضة البريطانية الهاشمية ، فأصبح
الجللاء هو الشعار الأول للحركة الوطنية
العراقية ، وقوى معناه في كل نفس حتى
لقد أحجمت بريطانيا عن طلب تعديل
المعاهدة العراقية القديمة - كما كانت
تأمل - لئلا يكون ذلك سبباً إلى
تنبيه العراقيين إلى المطالبة بالجللاء !
ثم يصف الموقف البريطاني من
قضية وادي النيل ، وكيف أخفقت
السياسة الانجليزية إخفاقاً ذريعاً في
الوصول إلى شئ مما حاولته بشتى
الأساليب لخداع المصريين عن حقهم
في الجللاء ووحدرة الوادي على كثرة
المحاولة والمطاوله والحيلة واصطناع
الأنصار .

ويعرض بعد ذلك لقضية فلسطين
والصهيونية ، ولم يكن إخفاق بريطانيا
فيها أقل منه في غيرها من البلاد التي
تحاول إخضاعها لسلطانها بالقهر أو
بالخداع والحيلة ، بل لعل إخفاقها
في هذه القضية كان أذل وأخزى .

ويحرص الأستاذ خالد بكداش في
عدد يناير من مجلة « الطريق »
- بيروت - على أن يعرض لقرائه
« السياسة البريطانية في الشرق العربي »
وحالة بريطانيا من القوة أو الضعف
بعد الحرب العالمية الثانية ، وهو يرى
أن هذه الحرب قد انتهت ببريطانيا إلى
الضعف وأبرزت تجاعيد الهرم والشيخوخة
في هيكلها المتداعى . . .

« وفي الحق كم جهد عمال
الامبراطورية ودعاتها وكم اخترعوا
ولفقوا لاقناع الناس بأن أهمهم على
شيخوختها ما تزال في تمام العافية ،
ولكن الناس لم يصدقوا شيئاً من صحة
العجوز ! . . . »

ثم يحاول الكاتب فيما يلي أن يصف
أثر ذلك الضعف وتلك الشيخوخة في
سياسة بريطانيا في الشرق ، وكيف
أخفقت في كل ما تحاول ، وعجزت عجز
الضعيف عن تنفيذ ما كانت تعترزم من
فنون سياستها الاستعمارية ، فيصف ما
كان من أمرها في سوريا ولبنان ، وكيف
بيتت النية لسلخهما عن فرنسا لتستأثر
فيهما بالنفوذ والقوة من دون حليفتها ،
فباءت بالحيلة وأخفق تدبيرها

ولا يفوت الكاتب أن يعرض
 لسياسة بريطانيا في شرق الأردن وما
 تأمله من بعث أسطورة «سوريا
 الكبرى» لتضم تحت جناحها الدار
 والحار، وتجد سبباً آخر إلى ما عجزت
 عنه في سوريا ولبنان وفلسطين...
 ويستمر الكاتب في إيراد الشواهد
 على ضعف سياسة بريطانيا وعجزها
 وضعف أسباب حيلتها بعد الحرب
 حتى ينتهي إلى ما يريد لينبه
 حكومات الشرق العربي وشعوبه
 إلى الفرصة المواتية لهم ليستخلصوا
 حرياتهم ويحققوا لبلادهم معاني
 الاستقلال.

مؤتمر الأدباء العرب

ويتساءل الأستاذ سامي الكيالي
 محرر مجلة «الحديث» - حلب - في
 عدد يناير الماضي: لماذا لا يتداعى
 أدباء العربية في مختلف أقطارها إلى
 مؤتمر عربي عام يداولون فيه الرأي
 حول ما يعينهم من شؤون الأدب،
 وحقوق التأليف، ووسائل نشر الثقافة
 وترقية الفكر العربي؟
 ويرى أن الأدباء كانوا أحق
 الطوائف بأن يكون لهم السبق في
 الدعوة إلى مثل هذا المؤتمر العام؛
 لأنهم - قبل غيرهم - كانوا دعاة
 هذه الجامعة المؤتلفة، ومن صدق
 هتافهم كان هذا الوعي المستيقظ في
 نفس كل عربي.

«أفلا يجدر بهم أن يتنادوا لعقد
 مؤتمر دورى كل عام يدرسون فيه
 مشا كل الأدب وحقوق الأدباء والمؤلفين
 وموقفهم من بعض الحكومات التي
 تطغى أحياناً بتصرفات تتنافى وكرامة
 الأدب، وغير ذلك من الأمور التي
 تتصل بحياتنا العقلية... فهم أقل
 الناس استفادة من مجهوداتهم الضخمة،
 فلا تزال حقوقهم مهضومة، وجهودهم
 غير معترف بها؛ ولا تزال بعض الهيئات
 الرسمية تنظر إليهم نظرات غير جديرة
 بالمكانة اللائقة بهم...»
 ثم يردف بعد تفصيل فكرته:
 «إن «الحديث» تدعو إلى عقد
 مؤتمر أدبي تدرس فيه كل مشا كل الأدب،
 فلدينا عدة قضايا هامة تستوجب
 اجتماع كبار أدباء العرب لبحثها: حالة
 الأدباء، موقف الحكومات من
 اتجاهات الأدب، حقوق المؤلفين،
 حرية التفكير، الأدب القومي والأدب
 الانساني، الجوائز الأدبية، تشجيع

المؤلفين ، التأليف والترجمة والنشر ،
والصحافة ودور النشر ، لوضع خطط
واضحة لازدهار الأدب العربي وتعزيز
مكانة الأدباء ، ووضع خطط ومناهج
واضحة لسير الأدب العربي في مجرى
التطور العالمي .

الأدباء كسالى

ويتناول الأستاذ رثيف خورى في
العدد ٤٤٧ ، ٤٤٨ من مجلة
« المكشوف » - بيروت - موضوعاً
طريفاً جعل عنوانه « الأدباء والكسل
والعزلة » ، فيتحدث عن طائفة من
الأدباء أو المعروفين بالأدب يؤثرون
الكسل والبطالة واعتزال الناس
مكتفين بما بلغوا من حظ كبير أو
ضئيل من الشهرة . فإذا سألتهم لماذا
آثروا البطالة والاعتكاف احتجوا بضيق
نطاق الحرية أو بسوء تقدير الجمهور
وقلة التشجيع أو الضيق بالناس ، إلى
غير ذلك من المعاذير التي لاتعفيهم مما
عليهم من تبعات وما يقتضيهم الأدب
من حقوق . ويرد الكاتب هذه الظاهرة
بألوانها المختلفة إلى أن في مزاج أكثر
أهل الفنون نوعاً من النفور يبتعد بهم
عن الناس ، وهي ميزة ، أو عاهة ،

واسعة الانتشار في أدباء العرب شأنهم
في ذلك شأن معظم أدباء الأمم . ثم
يقول :
« وأكبر الظن أن هذا النفور
من الناس في مزاج الأدباء يرجع بعضه
إلى دلال وكبرياء قل من الأدباء من
تخلو نفسه منهما أو من أثرهما . يعتقد
الأديب - بمجرد ما يكون أديباً -
أن فيه سرا يضع مرتبته فوق الناس ،
وأن له على الناس حق الخدمة والاعزاز ،
فيلبث مكتوف اليدين يتوقع منهم تلك
الخدمة وذلك الاعزاز . . . ولكن
الناس منهمكون في مشاكل حياتهم
لا يلتفتون إليه ، فيأخذ الحق
عليهم ، ويدفعه الحق إلى التيه
والتجنى على الناس ثم إلى الاستخفاف
بهم ، وهو لاعتقاده بأن له حقاً عليهم
لا يغفر لهم أن يسيئوا إليه مهما أساء
إليهم . . . »